

* الفرق بين البلاغة والمصاحرة

- يقول الهراعي: «أما البلاغة اصطلاحاً فالبلغة هي ذلك فريقتان

1- المقتدون كالإمام عبد القاهر المرقاوي وهب لعلقه وهؤلاء يرون أن المصاحرة والبلاغة والبيان والبراعة ألقاص مرادفة لا تنصف بها المفردات وإنما يوصف بها الكلام بعد توحى هتاني النصو فيما بين الكلم بحسب الأغراض التي يصاغ لها، وإلى ذلك أشار في دلائل الإيجاز في مواضع عدة منها قوله: «فصل في تحقيق القول على البلاغة والمصاحرة والبيان والبراعة، وكل ذلك منهن ما هنالك ذلك، مما يعبر عن فصل بعض

الفتاوى على بعض، وقيل له قال أبو الهلال العسكري في الصنائع: «المصاحرة والبلاغة والبيان درجات إلى تسمى واحد، وإن اختلف أصلها، لأن كل واحد منهما إلهام هو الإبانة على المعنى والإظهار له»، وقال الفخر الرازي في نهاية الإيجاز: «وأكثر اللغات لا يكادون يعرفون بين البلاغة والمصاحرة بل يهتفون بها استعمال الشيء المتراخي في على معنى واحد في تهوية الحكم بينهما.

2- المتأخرون كأبي يعقوب السكاكي وأب الأثير، وهب شايعيهما، وأولئك يرون إخراج المصاحرة من كنف البلاغة ويجعلونها اسم لما كان دعوة من سافر الخروب وغرابه الألقاص ومعالجة القياس، ويجعلون البلاغة اسماً لما طرأ من مقتضى الحال مع المصاحرة وعلى هذا الرأي على البلاغة كل والمصاحرة

جزءه « ١ هـ

- وهما يبديان الإشارة إلى البلاغة والمصاحبة عموم وخصوص فنقل كلام
بليغ فصيح وليس كل كلام فصيح بليغ.

يقول المرحاني في التعريفات: «+ البلاغة هي المتكلم بهدنة
يقتدر بها إلى تأليف كلام بليغ.

+ البلاغة في الكلام: مصداقه لمقتضى الحال والمراد بالحال، الأمر
الداعي إلى التكلم على وجه خصوص مع مصاحبه.

وقبل: + البلاغة: تنبؤ عن الوصول والانتهاج، بوصف بهذا الكلام
والمتكلم.

+ التعريف المصاحبة:
+ المصاحبة في اللغة: المصاحبة في اللغة لسان معان متعددة كلها

تشتت عن الظهور والإبانة، فيقال: ١- فصع اللب وأفصح إذا
أخذت عنه الرغوة، قال بركة السلمي: ونعت الرغوة اللب الفصيح
[يضرب مثلا للأمر صاخرة غير باطية] ٢- أفصح الصع: بدا ضوءه،

ومنه المثل: «أفصح الصع لدي عيبين» [يقال للشيء، ينكشف

بعد استناره] ٣- يوم فصع وفصح لا عيب فيه ولا فر ٤- أفصح

الأعجمي بالعربيين فصع لسانه لما إذا حصلت له من اللفظة

وفي التنزيل: «وإخيه هارون هو أفصح مني لساناً أي: أبين مني
قولاً».

+ المصاحبة اصطلاحاً: هي اصطلاح أهل المعاني: «عبارة عن

الألفاظ البينة الظاهرة المتبادرة إلى الفهم، والمأثورة

الإستعمال بين الكتاب والعشراء لمكان لحسنها.

+ ركائز المصاحبة:

+ مصاحبة الكلمة: تتحقق فصاحبة الكلمة المفردة بتبليغها

من ثلاث عيوب هي:

١- تنافر الحروف ٢- غزابة الإستعمال ٣- مخالفة القياس ٤- الكراهة

في اللفظ.

1. ناسف الحروف أثبات وصف في الكلمة بوجوب ثقلها على السمع وصحة أدائها باللسان بسبب كون حروف الكلمة متتارية المطارج، موحدا مثل (هـ ح خ)، وهو بيت ترجاء الإبل. قال أعرابي: تركت ساقتي ترعى المجمع، وللاصاطر لمعرفة الثقل والصفوة سوى الدوق السليم والحسن الصادق الساجدين عند النظر في كلام السلطان ومعارضة أساليبهم. وليس مشوه قرب مطارج الحروف دائما، ألا ترى أنك تصد الحسن في لفظ الهيئت مع تقارب مطارج حروفه، وكالقم والمشجر، وتحد لفظ قلع بمعنى أشرع متباعد المطارج وهو متساغر، ولا طول الكلمات كضم فلق وضئليل وما جرى مجراهما

2. غرابة الاستعمال هي كون الكلمة غير ظاهرة المعنى، ولما ألفت الاستعمال عند طعن العرب لأعداء المولدين لم تكثر أمما في المعاجم عرب عندهم والغرابة قسما:

1- ما يوجب حيرة السامع في فهم المعنى المقصود من الكلمة لتعدد هابيت معنيين أو أكثر لا قرينة، وذلك في الألفاظ المشتركة كالعين فإنها تطلق على العين الجارية وعلى الجاسوس وعلى ينبوع الماء وحرف على حروف الحروف العربية

3. مضالفة القياس: وذلك بكون الكلمة غير جارية على القانون وفي المستند من كلام العرب، مثل قول أبي نجم:

(الحمد لله العلي [الأجل] الواحد الفرد القديم الأول)
فإن القياس [الأجل] بالإدغام، ولا مدح لعله.
قال صاحب الصاعدين: وإنما استعمل ذلك القدماء لأنهم كانوا أصحاب بداية وبداية مفرقة مع أن استعارهم

لم تكن تنقد عليهم، ولو بعدت كما تنقد على منقرض هذه
الأربعة ويشرح عن كل منهم ما جاء فيه أدنى عيب له خصوصاً
4- الكراهة في السمع: هي أن تجمع الكلمة المسموعة وتألف
بها الطباع لوجهينها وعظمتها كالحرفي، بمعنى
السمع في قول أبي الطير يجمع سيف الدولة:

سارى الجاسم الحمر اللقب * كريم الحرفي شريف النسب
فصاحة الكلام: وفصاحته تكون بسلاطته هذا كل ما يتعلق
بمكتابه وبسهم معزاه، والمركب هو دود احار واحد حدود البلاغة
ورسوم الفصاحة، ولو اجتنوى على أجل المعاني وأشرفها، وانما يتم
لك ذلك إذا عتدنا عن الأشياء التالية:

1- تنافر الكلمات مجتمعة، ويدخل فيه كثرة التكرار وتنافع
الإصاغت: أي أن تكون الكلمات ثقيلة من تركيبتها مع
نقصها على السمع، عسرة النطق مجتمعة على اللسان وإن كان
كل جزء منه على انفراد صحيحاً، كقول الشاعر:
وقبر حرب بمكان قعر * وليس قرب قبر حرب قبر
ولسنة التقل فيه رعموا أنه هذا البيت لا يتم إلا إذا كان يكرره
ثلاث مرة دون أن يتجمع فيه.

2- ضعف التأليف: وهو أن يكون تأليف الكلام مخالفاً
لما اشتهر من قوافي البحو المشتهرة كوصل الصغيرين
وتقديم غير الأخراف مع وجوب الفصل في حومه أو كقول
المجنبي:

خلت البلاد من العزلة ليلها * وأما صباى الله كي لا تحزنا
وعقول حسناء من طارت على الأضفار قبل الذكر لفظاً ومعنى وحكماء
قوله حسناء بنات، من الناس أنقى محمد الدهر طاعتها
ولو أن محمد أطرد الدهر واحداً * من الناس أنقى محمد الدهر طاعتها
3- التوكيد: منه وهو كون الكلام خفي الدلالة على المعنى
المراد به حيث تكون الألفاظ غير مرتبة على وفق ترتيب المعاني

قال الشاعر

فأصحت بعد حظي بمحبتها كأن فراقها قلمها
يريد فأصحت بعد بمحبتها قفرا كأن قلمها حظي بسومها
فصل بين الفكل الناقص وحبره، وبين ركان واسمها،
وبين المصا عواصا فإليه، وقدم سير كأن عليها وعلى
اسمها.

التقيد اللفظي: حقيقة أن تكون الألفاظ مرتبة
لأعلى وفق ترتيب المعاني فيعسر صياغ الكلام
وتأليفه بسبب ما يحصل فيه من تقديم وتأخير
ونحو ذلك، كتقديم الصفة على الموصوف، والصفة على
الموصول، وهو لغة موم من فوض عند أهل البيان، لأنه
يوجب اختلال المعنى واضطرابه، وذلك ضد العصامة
التي هي ظهور وإبانة، ومن ثم قال القائل: الألفاظ
أجساد والمعاني أرواح، وإنما ترى بحجب القلوب،
فإذا تقدمت عنها مؤخر أو أضررت فيها مقدمة
الصورة وغيره المعنى، كما لو حول رأيت إلى موضع
يد أو يد إلى موضع رجل، فإن الحلقة تتحول والحلية
تتغير.

التقيد المعنوي: هو إضفاء دلالة الكلام على المعنى
المراد من أجل كون التركيب خفي الدلالة على المعنى
المراد لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأصلي إلى
المعنى المقصود بسبب إيراد اللوازم البعيدة المفترقة
إلى وسائل كثيرة مع عدم ظهور القرائن الدالة على
المقصود، "بأن يكون علم المعنى الثاني من الأول بعيدا
عن الفهم عرفيا" كما في قول عباس بن الأحنف:
سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا، وتلك عيناي الدموع لتعمدا

جعل هكس الديموع كتابة عما يلزم فراق الاخذة من الحرف
والكمد فاحسن وأصعب في ذلك، ولكنه أخطأ في جعل جمود
العين كتابة عما يوجب التلاقي من الفتح والسرور أن يقال
لا جمود عينك، أو لا زالت عينك جامدة. بل المعروف
عندهم أن جمود العين إما يكتفى به من عدم البكاء حال الحرب،
كما في قول الحنساء:

أعيني جودا ولا تحمدا المذنبان لصخر البدي
وقول أبي عطاء يري ابن هبيرة:

ألا إن عيننا لم تجد يوم واسط عليك بجاري دهمها جمود
وهكذا أكل الكتابات التي تستعملها العرب لأغراض، ويعبرها
لمتكلم ويريد بها أغراضا أخرى تكثر حوجات حسن العرب في
استعمالاتهم وبعد ذلك تحقيق داني المعنى حيث لا يكون المراد
بها واضحا.

١. فصاحة المتكلم، هي صفة راسخة في نفس المتكلم بفقدانها
على التعبير عما يجول في خاطره من الأغراض والمقاصد.
ويتلك الصفة يمكن من صياغة الأسلوب صروب الكلام،
من صديع وهجاء وتهان وهرات وحطب وحسرة، ورسائل
معمقة في الوعظ والإرشاد، والمفاخرات والمناقبات.
ولم يبلغ شاعر أو نثر هذه المنزلة إلا إذا كان ملما باللغة كثير الإلماع
على كتب الأدب، محيطا بأسرار أساليب العرب، حافظا لعيون
كلامهم من شعر جيد ونثر مختار، عالما بأحوال الشعراء والخطباء
ومجالس الملوك والأمراء، محيطا بتعدادات العرب وأخبار أيامهم.